الفصل الثاني
بعد الأربعين

صورة سيد الخلقية والخلقية :

كان الشهيد ، عليه الرضوان ، أسمر اللون ربعة في الرجال وإن كان إلى القصر أميل قليلا ، جعد الشعر ، رقيق الإحساس ، حلو العشرة ، لين الجانب جم التواضع ، شغوفا بإغاثة اللهفان ، حاضر البديهة تتقد حدقتاه ذكاء وفطنة وجدية ، في لسانه لثغة مقبولة في الراء لا تؤثر في إشراقه بيانه وهو يتحدث أو يلقي خطبة ، ولا تنال من فصاحة لسانه ، وسلاسة عبارته وهو يتحدث أو يناظر ، أو يجادل أو يلهب النفوس في مهرجان خطابي .

عرف بالجرأة في الحق ، لا يخاف في الله لومة لائم مهما كلفه ذلك من العناء ما كلفه ، وهو بذلك يمثل أنفة وإباء الصحابة والسلف الصالح من هذه الأمة ، وهذا هو ما أوغر عليه صدور حكام مصر حسن يئسوا من استمالته إليهم بكل حيلهم بالمال والمنصب والجاه ، فجربوا معه أسلوبا آخر هو أسلوب التعذيب والتنكيل فما لان ، عليه الرضوان ، فاستعلى بإيمانه الذي أكرمه الله تعالى به على كل الحيل الشيطانية والوسائل الإغرائية ، فأطلق كلمته الصادقة الصارخة المدوية في سمع الزمن : «إن أصبع السبابة الذي يشهد الله بالوحدانية في الصلاة يرفض أن يكتب حرفا واحدا يقر به حكم طاغية »[1] .

ومن صور البذل والسخاء التي لا يعرفها الكثير من الناس عنه أنه من ريع كتبه الكثيرة لم يستطع أن يملك بيتا يسكنه ؛ إذ ما كان تدره عليه كتبه ينفقه على أسر

---

(١) انظر صحيفة «الشهاب »البيروتية ، العدد ٥ ، السنة ٩ ـ ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، «النور »المغربية ، السنة ١٣ ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٨٧٥م .

تلاميذه الذين حيوا معه المحنة وعاشوا معه وراء القضبان [١] .

ويجدر بي بهذه المناسبة أن أنقل بعض مواقف الكرم والنزاهة التي أوردها الأستاذ صلاح الخالدي في كتابه : «سيد قطب الشهيد الحي» تعتبر مصابيح على الطريق ويكاد يجهلها الناس ، وجل محبي سيد ، وفيما يلي هذه المواقف المصابيح .

«وقد روى لي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار حادثة غريبة رآها بنفسه تدل دلالة واضحة على كرمه ، فقد كان العطار يزروه في منزله في «حلوان» كثيرا ، وكان أثاث غرفة الاستقبال متواضعا ، لأن حالة سيد قطب المادية لم تكن تسمح له بتحسينه ، وزاره ذات يوم فوجد عنده أثاثا جديدا جميلا فسر بهذا التغيير ، ثم زاره مرة أخرى فوجد أثاثا قديما فاستغرب ، وبعد إلحاح منه على سيد قطب ليعرف حقيقة الأمر ، أجابه بأنه باع الأثاث الجديد ، وقدم ثمنه مساعدة لأحد إخوانه ليتمم مصروفات زواجه ، وقال له : إن ما معك من المال لا يكفي لنفقات الزواج ، فإذا أنفقته عشت فقيرا معدما ، فاستعن بمالك على حياتك العائلية القادمة ، وأنا أتبرع بكل نفقات الزواج .

وكان الذي تبرع به هو ثمن الأثاث الجديد » [٢] .

وقد حدثني أحد الفضلاء ـ وقد كانت له بسيد قطب صلة وثيقة ـ عن حادثة تدل عل نزاهة سيد قطب ، وهي أقرب إلى الخيال ، قال : «اتصل بي سيد قطب تلفونيا ذات يوم ، وطلب مني أن آتي إلى منزله سريعا ورجاني ـ باستحياء ـ أن أحضر معي بضعة عشر جنيها ، لأنه مريض لا يملك ثمن الدواء ، قال : فذهبت إلى منزله مسرعا ، ورأيت هناك مشهدا عجيبا ، وأقسم لقد دهشت مما رأيت ، كان

---

(١) راجع د . عزام (عبد الله) صحيفة «الشهاب »البيروتية ، ص٨ ، العدد ٥ ، السنة ٨ ـ ١٣٩٤هـ ١٩٧٥م .

(٢) ص١٨٣ .

مع سيد قطب في الغرفة سفير دولة عربية بترولية ، وأمامه حقيبة مليئة بالأوراق المالية من مختلف الفئات تبلغ عدة آلاف وهو يرجو سيد قطب بحرارة أن يأخذها فهي هدية من دولته له ؛ لأنها تعرف منزلته ومسؤولياته ، وتريده أن يستعين بها على أعباء حياته ، ويمول بها مشروعاته الأدبية والفكرية ، ويتابع الأستاذ الفاضل حديثه قائلا : ونظرت إلى سيد قطب فإذا به حزين مكتئب ، ثم رد هدية السفير بحزم وبدا الغضب عليه وهو يخاطبه : لا أبيع نفسي وفكري وعقيدتي بأموال الدنيا كلها ، فأعد أموالك إلى حقيبتك ، ثم التفت سيد قطب إلي وقال : هل أحضرت ما طلبته منك؟ فناولته المبلغ ففرح به كثيرا ، ولما عرف السفير قصة المبلغ خرج محتارا متعجبا مما رأى وقال : إن كثيرا من قادة الرأي والفكر والأدب يأخذون من دولتي هدايا مالية باستمرار ، ولكن سيد من طراز وحده »[1] .

وهذه النزاهة النادرة والصرامة في الحق هي التي دفعت طه حسين إلى أن يقول عنه في تقديمه له للحضور حينما ألقى محاضرة في نادي الضباط سنة ١٩٥٢ : «إن في سيد قطب خصلتين هما : المثالية والعناد» ، وليس من شك أن طه حسين يقصد بالعناد في تقديمه للشهيد الثبات على الحق ، ورفض كل ما يخالفه[2] .

على درب الله :

عندما عاد سيد من «أمريكا» عام ١٣٧٠هـ موافق ١٩٥٠ إلتحق بوزارة المعارف العمومية مراقبا بمكتب وزير المعارف إسماعيل القباني ، وفي عام ١٣٧٢هـ موافق ١٩٥٢م نقل إلى منطقة القاهرة الجنوبية ، وفي هذا العام نفسه عاد للعمل مراقبا مساعدا بالبحوث الفنية والمشروعات ، وقدم استقالته ، وحاول الوزير أن يبقيه بجانبه ليستفيد من عمله وخبرته ، ولكن بدون جدوى .

---

(١) ص١٨٤ .

(٢) ص١٨٥ .

عاد سيد يحمل في عطفيه قبسا من الإيمان الحي المتوهج على عكس ما كان يظنه رجال الحكم حينذاك ؛ إذ غيرت هذه الرحلة تصور سيد نحو الحياة تغييرا جذريا .

لقد كان إقصاء سيد إلى «أمريكا» في مهمة دراسية إخراسا لقلمه الثائر على الأوضاع الفاسدة ، كما سلف القول ، وكان في الوقت نفسه خيرا أي خير استأثر الله به في علمه الأزلي ليظهره في الوقت المناسب : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] .

نعم ، كان في ذلك خير ، أي خير ، إذا وقع تحول ــ كما سبق ــ في مسيرة حياته الفكرية ، فقد شاهد فرحة الأوساط الأمريكية باغتيال الإمام الشهيد البنا ، وتحادث مع رجل المخابرات الإنجليزية «جون هيوورت» الذي ادعى الإسلام ، وحاول أن يغريه فعرض عليه أن يترجم كتابه : «العدالة الاجتماعية في الإسلام» جزاء عشرة آلاف دولار ، فرفض العرض المغري ، وسلم الكتاب إلى المجلس الأمريكي للدراسات الإسلامية لترجمته مجانا ، وتولى أستاذ بجامعة «هالفكس» «بكندا» المستشرق «يوحنا جون . ب هاري» ترجمته ، كما راح هذا الجاسوس يحاول ضمه إليه بشتى الوسائل ، من ذلك أنه صرح له بأن مصر مقبلة على خطر إن تولت جماعة «الإخوان المسلمين» الحكم ؛ إذ ستعزل مصر عن حضارة الغرب ، وتفقد بذلك مكانتها الحضارية ، وتمنى منه ومن أمثاله من المفكرين أن يقفوا سدا منيعا في وجه تيار هذه الجماعة ، ورجاه أن يقلع عن هجماته على «بريطانيا» ؛ لأن «بريطانيا» إن غادرت مصر فإن «أمريكا» لن تتوانى عن أن تحل محلها ، وبذلك يكون قد حل استعمار أشد عداء لمصر من «بريطانيا» [(١)] .

من خلال هذه الأحداث التي جرت لسيد تبين له أن جماعة «الإخوان المسلمين»

---

(١) صرح بهذا شقيق سيد الأستاذ محمد قطب ، وأثبته الدكتور عبد الله عزام في البحث الذي يعده عن سيد ، انظر الخالدي «صلاح» سيد قطب الشهيد الحي ص١٣٦ .

على الحق ، وفي هذا يقول : «قلت في نفسي : الآن حصحص الحق ، وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق البين ، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتبعها ، فهذه «أمريكا» ترقص على جمجمة «حسن البنا» لمحاربة «الإخوان» فصممت في قرارة نفسي أن أنضم إلى «الإخوان المسلمين» وأنا لم أخرج بعد من منزل رجل المخابرات البريطاني .

لأجل ذلك انتسب إلى جماعة «الإخوان المسلمين» ، واتجه إلى العمل الإسلامي فوجد في هذا المضمار حقلا ممرعا يلبي فيه رغبته الملحة ، وتولى في هذه الجماعة المباركة رئاسة قسم نشر الدعوة ، كما تولى رئاسة تحرير جريدتها ، وانتخب عضوا في مكتب إرشادها ، وبالجملة أصبح سيد قطب ~ مفكر الجماعة وكاتبها المفدى بلا منازع ، وأحد زعمائها بلا مدافع .

وسار على بركة الله في عمله الإسلامي يدعو إلى الله تعالى ، ويشحن النفوس بالتصور الإسلامي الحق ، ويستحث الركب الرباني على المضي في طريق الله ، ينشر الإسلام في صورته المشرقة التي عجز الكثير عن إبرازها على هذه الصورة ، وتوالت أعماله الإسلامية تملأ الأسواق ، وتبهر ذوي الاختصاص ، وتروي الشباب المتعطش ، وتأخذ بيده إلى الربع الدافئ الأمين ، وسيأتي الحديث عن أعماله تلك مفصلا إن شاء الله تعالى .

ونظرا لاستفاضة شهرته في العمل الإسلامي ، فإن الاستعمار الإنجليزي منعه من الدخول إلى «الأردن» ، وذلك حين انتدبته لجنة حلقة الدراسات الاجتماعية المصرية لتمثيلها في مؤتمر حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقد في «دمشق عام ١٣٧٣هـ موافق ١٩٥٣م» الذي ألقى فيه عدة محاضرات ، من بينها تحت عنوان : «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي» ، وبعد انتهاء المؤتمر اتجه إلى الأردن زائرا فمنعته السلطة الأردنية على الحدود من الدخول بأمر القائد الإنجليزي «كلوب» .

ورشحته الجماعة لمكانته الفكرية لتمثيلها في المؤتمر الإسلامي الشعبي المنعقد في القدس وذلك سنة ١٣٧٣هـ موافق ١٩٥٣م ، وسارت الحياة بسيد في درب مليء بالأشواك محفوف بالمخاطر ، مزروع بالألغام ، فقد خاض قبل ذلك معركة الحرية والعدالة الاجتماعية أيام فاروق وساعد بمجهوده الثورة على الإطاحة بالنظام الفاسد حتى أنه وصف بـ «ميرابو» [١] الثورة ، وقد كان كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» أعنف ما كتبه ضد الإقطاع حينذاك ، الأمر الذي جعل رجال الثورة على صلة طيبة في الأشهر الأولى من قيامهم ، وعرضوا عليه أن يكون مستشار الثورة وقد جاءه أفراد من قادتهم يقول له بكل تواضع : «إننا تلاميذك تتلمذنا على أفكارك التي نشرتها في المجلات الثلاث «الدعوة» ، و«الاشتراكية» و«اللواء الجديد»، ونحب أن تكون مستشارنا في الأمور الداخلية » [٢] .

احتفاء الثورة به :

ولأجل إخلاص سيد في مواجهة دسائس الاستعمار الإنجليزي ، ومواجهة الإقطاع ، والمساهمة في توعية الرأي العام المصري بشؤون وطنه ، وما يدبره حكم «فاروق» من مؤامرات ضد الشعب المصري وعقيدته احتفلت الثورة به ، وطلب منه قادتها إلقاء محاضرة بنادي الضباط تحت عنوان «التحرير الفكري الروحي في الإسلام ، وذلك من عام ١٩٥٢ ، وقد غص النادي بجميع فئات الشعب ورجال الفكر ، كطه حسين ، وأحمد لطفي السيد ، وقدم «سيدا» للحاضرين بالنيابة عن محمد نجيب . جمال عبد الناصر .

وقد اغتنم الفرصة قادة الثورة ، فجعلوا من هذا الحفل مناسبة للاحتفاء بـ«سيد قطب» والإشادة بمناقبه وجهاده ، فتقدم طه حسين إلى المنصة وألقى كلمة بين فيها

---

(١) خطيب الثورة الفرنسية .

(٢) انظر : الحوار السابق الذكر مع شقيقه .

معالم شخصيته وعقب على ذلك الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وتلاه بعد ذلك الضابط محمد محمود العزب فتحدث عن «سيد» في تهيئ مناخ الثورة .

ومن جملة ما ورد في محاضرة «سيد» عن الثورة قوله بصراحته المعهودة ، وبدون مجاملة أو مداهنة : «إن الثورة قد بدأت حقا وليس لنا أن نثني عليها؛ لأنها لم تعمل بعد شيئا يستحق الذكر ، فخروج الملك ليس غاية الثورة ، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام ».

وقال أيضا غير مداهن : «لقد كنت في عهد الملكية مهيئاً نفسي للسجن في كل لحظة ، وما آمن على نفسي في هذا العهد ؛ فأنا في هذا العهد مهيئ نفسي للسجن ولغير السجن أكثر من قبل » [١] .

وحين ألقى «سيد» هذه الفكرة بين الجموع الكثيرة كان يحس أن أعباء الدعوة تتطلب منه جهادا مراً ، وكأنه بذلك يستشف من وراء حجب الغيب محنته ، وعقب هذا نهض جمال عبد الناصر واقفا وقال «أخي الكبير «سيد» والله لن يصلوا إليك إلا على أجسادنا جثثا هامدة ونعاهدك باسم الله ، بل نجدد لك عهدنا لك أن نكون فداءك حتى الموت » [٢] .

غير أن «سيدا» اعتزل من يدعون الضباط الأحرار حينما انحرفوا عن سواء السبيل رافضين الاهتداء بمنهج الله تعالى ، ورفض كل المناصب الضخمة التي عرضت عليه ، من ذلك منصب وزارة المعارف ومنصب سكرتير العام لهيئة التحرير المصرية ، ولم يتورع عن فضح عمالة بعض أعضاء الثورة لـ «أمريكا» ، الأمر الذي جعل حكومة الثورة تمنع الصحف من نشر كتاباته مراعاة لـ «أمريكا» وعملائها ، ويضحي في الوقت نفسه بما كانت تدره عليه إسهاماته القلمية في

(١) راجع الخالدي «صلاح» سيد الشهيد الحي ، ص١٤٢ نقلا عن مجلة «كلمة الحق» .

(٢) انظر المرجع السابق .

الصحف والمجلات من أموال تفاديا من أن يزكي الطاغوت ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

وراء القضبان :

في سنة ١٣٧٤ موافق ١٩٥٤ دبرت مؤامرة لضرب الحركة الإسلامية ، وشل عملها بعد أن لم تستجب للنظام الفاششتي في مصر ، فاتهمت جماعة «الإخوان المسلمين» بمحاولة اغتيال «جمال عبد الناصر» ، وذلك في حادثة «المنشية» [١] المزعومة والتي انكشفت لعبتها فيما بعد ، ونتيجة للتآمر على الإسلام في دياره استشهدت الجماعة الأولى من الإخوان في طليعتها العالم القانوني عبد القادر عوده وعالم الإسماعيلية الشيخ محمد فرغلي ـ على الجميع الرضوان ـ واعتقل سيد «قطب» مع من اعتقل ، وحكم عليه مدة خمسة عشر عاما بالأشغال الشاقة ، ولقي في السجن أنواعاً من التعذيب والتنكيل ، مما لا يتصوره عقل ـ كما لقي معه الإخوان المجاهدين من التنكيل ما لم يقم به فرعون قريش أبو جهل ـ من ذلك أن زبانية السجن كانوا يربطونه بالأحبال إلى كرسي ، ثم يتركونه على هذا الوضع دون نوم تنهال على وجهه الصفعات بالأقلام الكبيرة الغليظة و يعني بها عند المصريين الأصابع ـ وعندما كان يطلب كأس ماء من الجلادين فإنهم يجدونها فرصة سائحة للمغالاة في التعذيب والتفنن فيه ، وخلق ألوان منه لا تخطر على بال شيطان فأحرى

---

(١) هذه القضية قد أثيرت مع ما أثير من قضايا التعذيب بعد موت جمال عبد الناصر وتحدثت عنها الصحف والكتب محللة مفسرة ، فظهر الكيد للحركة الإسلامية واضحا ، والدليل على ذلك أن من كان يعيش من الضباط الأحرار كالسادات لم يستطع أن ينفي هذا الكيد ، ومن الكتب التي تحدثت عن هذه المؤامرة كتاب «المؤامرة على الإسلام مستمرة» للأستاذ جابر رزق (ص ١٣٨) ، وما بعدها ط ١ ، ١٣٩٨هـ ـ ويمكن مراجعة الصحف المصرية ففيها الحديث عن ذلك انظر مثلا الأهرام س١٠١ ، ع ٣٢٣٤٤ ، عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

الإنسان ، لأجل ذلك كانوا يسارعون إلى تلبية طلبه فيأتون له بكأس ماء مثلج ، ولكنهم إمعانا في الشماتة به لا يسلمونها له ، بل يضعونها أمامه دون أن يستطيع تناولها وهو الممعود [١] المكلي [٢] والمصاب بالنزيف الرئوي ، فلم يشفع كل ذلك له ويشف غليلهم ، بل سلطوا عليه في ساحة السجن كلاب الصيد لتنهش لحمه ، ونزعت ثيابه وضرب بالكرابيج [٣] ، وقد تحدثت عن كل ذلك مما عاناه أستاذنا الشهيد في السجن في قصيدتي تحت عنوان «من سيد قطب إلى عمار بن ياسر» قلت في أولها :

ذنبي قـــولي ربي الله فثار الإعصار الغادر

أخذوني للقبو الكافر .سنوات عجفاء كجنون الحرمان الكاسر [٤] .

وقضى سيد قطب في «السجن الحربي» و«ليمان طرة» [٥] عشر سنوات وأعفى من

---

(١) الممعود المريض بالمعدة .

(٢) المكلي المصاب في الكلى .

(٣) أصله بالفارسية السوط ، وعند الجلادين بمصر فترتئذ يعني السوط كذلك إلا أنه سوط من الجلد المضغوط ضغطا شديدا طوله من متر إلى مرتين يخمر في الزيت ليكون أشد إيلاما ، ونوع آخر منه يخمر في الزيت ورأسه يخمر وذيله مدبب مغلف بسلك ولا يستعمله في الجلد إلا الشرطة الماهرة من جلادي الحكم .
وقد أشارت إلى أنواع هذا التعذيب جريدة «أخبار اليوم» ، ع ١٥٨٦ ، ص ٣١ ، عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥ ، وفي هذه الفترة بالذات بدأت الصحافة المصرية المخنوقة ولأول مرة تتحدث عن المجازر الرهيبة التي أقامتها حكومة الثورة للحركة الإسلامية .

(٤) القصيدة من ديوان صاحب هذه الدراسة المخطوط تحت عنوان «إلى الجنة عبر أحراش العذاب» ، وقد سبق الحديث عنه ، ونشرت القصيدة المذكورة بمجلة المشكاة المغربية س ١ ، ع ٤ ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٥) أسس هذا السجن سنة ١٨٨٦م وقد وضع تصميمه ضابط فرنسي يدعى «ارنيه كارثوب دي مثياريك» ، واختير مكان «ليمان» ، في «طرة» لحكمة وهي وجوده قريبا من الجبل وقد بناه المسجونون من حجر هذا الجبل أيام الاحتلال الإنجليزي .

سجن خمس سنوات بعد أن تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف رحمه الله ـ وقد كان معجبا بفكره ـ لدى جمال عبد الناصر ، وذلك أثناء زيارته عام ١٣٨٤ موافق ١٩٦٤ لمصر ، وخرج سيد من السجن والتقى بالرئيس العراقي المذكور وقد عرض عليه السفر إلى العراق فرفض قائلا : « ... إنها ساحة ومعركة ولا أستطيع أن أخليها »[١] .

الثورة والتراث الفكري لسيد قطب :

عرفنا فيما سبق مدى الاهتمام الذي أحاطت به الثورة سيد قطب في أول مرحلة من مراحلها ، وما ذلك إلا اعترافا منها بخدماته الجلى التي قدمها للوطن حين كان يواجه بقلمه الثائر الإقطاعية والرأسمالية أيام حكم فاروق حتى أطلق عليه «ميرابو» الثورة المصرية ، كما سلف القول ، وأملا منها في أن تكتسب هذا القلم الفذ لجانبها .

ومعروف أن الثورة المصرية لم تقع على أكتاف الضباط الأحرار ـ كما يسمونهم ـ وإنما قامت كذلك بمساعدة جماعة الإخوان المسلمين على أساس أن تنهج الثورة في حكمها الإسلام والإسلام وحده ، ومر بنا أن سيد قطب حين احتفل به ضباط الثورة وخطب فيهم قائلا : «إن الثورة قد بدأت حقا وليس لنا أن نثني عليها ، لأنها لم تعمل شيئا يستحق الذكر فخروج الملك ليس غاية الثورة بل الغاية العودة بالبلاد إلى الإسلام »دل على أن المسألة ليست فيها مساومة برغم مظاهر الاهتمام التي حاول هؤلاء الضباط أن يحيطوا بها شخصية سيد ، عليه الرضوان ، ابتغاء احتوائه باعتباره مفكرا له وزنه الخطير في الأمة الإسلامية عامة والأمة المصرية خاصة ، ولكن سيدا لم تحرك في نفسه مظاهر الزيف وحب الدنيا الطمع ، وقد عاش دائما مرفوع الرأس أبيا نقي الإزار ، وخصوصا بعد أن قال : ربي الله ثم استقام .

---

(١) انظر : فضل الله «مهدي» المرجع السابق ، ص ٥٣ .

ولما لم تستطع الثورة احتواء سيد برغم المساومات العديدة بحثت عن وسيلة للانتقام فلم تجد خيرا من أن تضرب ضربتها القوية باتهام جماعة «الإخوان المسلمين» بتهم شتى ، مرة باغتيال رئيس الدولة ، ومرة بالقيام على نظام الحكم وهكذا ، وكان سيد قطب على رأس المتآمرين على الدولة ، كما سجلت ذلك شبكة المخابرات المصرية في غيبة القانون بل في غيبة الحق على الصحيح .

وكانت المآسي الدامية والمذابح الرهيبة التي أقامتها الثورة للحركة الإسلامية في مصر وراحت تزج بالناس في السجون ، وتخطف الأبرياء وتيتم الأطفال وتعذب كل من امتد إليه ظن المخابرات ، مما لم تقم حتى محاكم التفتيش في الأندلس ، وقد فضحت فيما بعد هذه الممارسات الوحشية المجلات والصحف المصرية ومذكرات المرزئين من المنتمين للحركة الإسلامية وغير المنتمين لها ، كما صدرت أعمال قصصية تدين هذه الأوضاع لكتاب لا يمتون بصلة إلى هذه الحركة ، بل هواها مع اليسار ـ فيما يبدو ـ ومن بينها قصة «الكرنك» لنجيب محفوظ التي عرض فيها جانبا هاما من جهاد الإخوان وصبرهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب .

وحاولت الثورة في غمار هذه المذابح الوحشية أن تخنق فكر سيد قطب بعد أن تيقنت من أن الرجل باع نفسه لله وكفى ، لذلك حاربت تراثه الفكري بشتى أنواع المحاربة وأبدت حكومة الثورة موقفها العنيد من إنتاجه كله ، الأمر الذي جعل الناس يتخوفون من الوقوع فيما يعود عليهم بالسخط من طرف المخابرات المصرية التي أصبحت تهيمن على مقدرات الحياة في مصر ، وراحت المكتبات وجلاً من سخط المخابرات ، تتخلص من إنتاج سيد قطب سواء الأدبي منه أو الإسلامي ، وراح الكتاب أنفسهم يتحامون ذكر اسمه في كتبهم ، ومن بين هؤلاء الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه «أثر القرآن في تطور النقد الأدبي» الذي أثبت في مقدمة هذا الكتاب كتاب «النقد الأدبي» لسيد قطب وكتابه «التصوير الفني» وكتابه «مشاهد

القيامة» ، في حين في الطبعة الثالثة لعام ١٩٦٧م للكتاب المذكور حذف كل ذلك .

ومن بين هؤلاء الأستاذ أنور الجندي الذي ألف كتابه «معالم الأدب العربي المعاصر» وذكر اسم سيد قطب بين أقواس ليس إلا ، وأخرج كتابه «مفكرون وأدباء من خلال آثارهم» ، بيد أنه لم يشر إلى سيد ، وكان من الواجب أن يكون ضمن أولئك ، بل أن يكون أسبقهم في هذا المجال ولا ريب .

لكن الغريب حقا أن إغفال الأستاذ أنور الجندي ذكر اسم سيد قطب قد استمر بعد أن رفع الحظر عن إنتاجه ، ففي كتابه «خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث» الصادر سنة ١٩٧٥ يشير إلى سيد عند حديثه عن المعركة التي دارت بينه وبين الدكتور مندور حول الأدب المهموس بأنه «أحد محرري الرسالة» هكذا بهذه الإشارة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن في نفس الكتاب دوافع لا ندريها جعلته يتخذ هذا التصرف المسيء للحقيقة والتاريخ .

ومن بين هؤلاء الدكتور «محمد مندور» في الطبعة الأخيرة لكتابه «الشعر المصري بعد شوقي» الحلقة الثالثة ، إذ حذف القسم الذي يتحدث فيه عن سيد قطب .

ومن كان يضطر من الباحثين إلى النقل عنه والاستشهاد بأقواله فإنه يحيل على كتبه دون أن يذكر اسمه على نحو ما فعل الدكتور عفت محمد الشرقاوي في كتابه «الفكر الديني في مواجهة العصر» الذي استشهد بكلام سيد غير ما مرة دون التصريح بالاسم ويقتصر فقط بقوله «من ذلك ما كتبه أحد الدارسين في موضوع التصوير الفني» [1] .

وإذا كان هذا مستساغا سنة ١٣٨٣هـ موافق ١٩٦٣م فإنه لم يعد كذلك سنة ١٣٩٩هـ موافق ١٩٧٩م حين طبع طبعة جديدة ، فكان على صاحب الكتاب في

(١) انظر : ص ٣٦٤ ، ط ٢ ، عام ١٩٧٩م .

هذه الطبعة أن يتلافى هذه التعمية إذ لم يعد لها الآن محل من الإعراب ـ على حد تعبير علماء النحو ـ خضوعاً لأمانة البحث العلمي وقواعده .

وأسوق هنا ما حكاه أحد الذين ألفوا رسالة جامعية «الماجستير» عن أدب سيد قطب عما لقيه من مشقات للحصول على بعض أعماله قال : «وبدأت المحاولة وجاءت نتيجتها أني لم أعثر على شيء بعد فترة طويلة من البحث الجاد عن الدواوين في دور النشر والمكتبات العامة ومكتبات الأفراد الخاصة ، بل وفي بعض الدول العربية التي ظننت وجود الدواوين بها لعلي لا أخرج عن الموضوع إذا ذكرت واحدة من محاولات البحث ، وكانت في دار الكتب التي لم أجد في فهارسها اسم سيد قطب ، وأخبرني أحد موظفيها المختصين أن مؤلفات سيد قطب جمعت أيام المحنة ، ووضعت في صندوق خشبي كبير ووضع في مخزن خاص بالقلعة ، ولما طلبت الذهاب إلى المخزن أجابوا طلبي بأنه قد وافق أمرا من الدار بإخلاء المخزن ، وإخراج ما فيه ، لأنه ملك لدار الوثائق القومية وهي في حاجة إليه

ذهبت إلى المخزن لأجده مخزنا كبيرا مملوءا بصناديق الكتب المحكوم عليها بالإعدام وبالكتب المتناثرة هنا وهناك في أرض المخزن وعليها التراب المتراكم والحشرات السائحة ، وأخبرني موظف الدار وعمالها المكلفون بإخلاء المخزن بأن عملية الإخلاء ستستغرق أياما وعلي أن أراجعهم بين الحين والحين وترددت عليهم عدة مرات ، وفي المرة الأخيرة أخبروني أنهم عثروا على الصندوق ولم يجدوا فيه شيئا من دواوينه ، بل لم يجدوا من مؤلفاته إلا القليل الممزق ، وعللوا ذلك بأن المخابرات أخفقت كل شيء .

قال حمزة البسيوني : أنا عارف وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة في مصر التي تعمل من أجل العقيدة ، ونحن عارفون أنكم أحسن ناس في البلد ، ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الإعدام .

وكان جواب سيد ﷺ ، والله لو كان هذا الكلام صحيحاً لقلته ولما استطاعت قوة في الأرض أن تمنعني من قوله ، ولكنه لم يحدث لنا ، وأنا لا أقول كذبا أبدا .

ثم قال بعد ذلك : إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعا ، إن الأعمار بيد الله وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي ، ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها كل ذلك بيد الله ، والله من ورائهم محيط [١] .

وقد كان سيد في السجن مثال الداعية الحق لا يفتر عن نشر الدعوة بين الناس حين تكون الفرصة سانحة يلهب فيهم الشعور بالمسؤولية نحو العقيدة ، الأمر الذي جعل تلاميذه لا يكفون عن خطب وده والتقرب إليه بشتى الوسائل ، فقد أحبوا فيه سلوكه الرفيع وأخلاقه القرآنية العالية ووداعة سيرته ، من ذلك ما يحكيه الدكتور عبد الله عزام في قوله : «ولقد حدث أن تاق له أحد تلاميذه الذين يشاركونه المحنة وهو بعيد عنه في سجن آخر ، فادعى أنه بحاجة إلى عملية جراحية حتى يتسنى له النقل إلى «مستشفى مزرعة طرة» حيث قضى الشهيد معظم فترة سجنه الأول ، ولقد نقل التلميذ وأجريت له العملية ـ وهي منظار المثانة والمسالك البولية ـ ذات الآلام المبرحة والتقى بأستاذه هناك » [٢] .

وقد لاحظ مدير سجن «طرة» هذا الإعجاب من طرف الناس بشخص سيد قطب فقال : «أنا لست مسؤولا عن السجن ، إن المسؤول الفعلي هو سيد قطب ؛ لأنه لا تنتهي مشكلة في السجن إلا إذا أدلى فيها برأيه وقال فيها كلمته » [٣] .

---

(١) انظر : ص ١٨٣ ، ١٨٤، ط ١٩٧٩ دار الشروق وانظر الإشارة إلى ذلك عند رزق «جابر» ، مذابح الإخوان في سجون ناصر ، ص ١٤٦ ، وقد تحدثت عن كل هذا في مسرحيتي الشعرية «أعراس الشهادة في موسم الشنق» ، التي ألفتها عن محنة سيد قطب والتي صدرت ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

(٢) انظر جريدة الشهاد البيروتية ، العدد ٥ ، السنة ٨ ، ص ٨ ، ٩ ، عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

(٣) المرجع السابق .

ونظرا لهذا الإكرام الذي كان يحيطه به تلاميذه والمسجونون في السجن جعل المجرمين من المعتقلين النازلين بمستشفى السجن لا يتناولون الدواء إلا من يده أملا في الشفاء وتبركا بصلاحه [١] .

وكانت المحاكمة الهزلية التي بلورت الوجه الحقيقي للثورة المصرية . وكشفت النقاب عما يدبر للإسلام داخل حصونه لأجل إرضاء المعسكرين الكافرين المتصارعين في الساحة العالمية ، ومن صور هذه المحاكمات أن الحكومة الناصرية منعت المحامين من البلاد العربية ــ ومنها السودان والمغرب ــ تولي الدفاع عن الإخوان المسلمين ، بل إنها أمرت من وصل منهم إلى مصر بالمغادرة فورا مع العلم أن هذا حق تضمنته قرارات مؤتمر المحامين العرب والقاضي بالسماح بالترافع أمام محكمة عربية .

والحق أن الحكومة الناصرية لم تجد بدا من حظر هذا الترافع؛ لأن المحكمة في جوهرها كانت عبارة عن مهزلة ، فلا يليق أن يطلع عليها أحد خارج القطر المصري [٢] .

ومن الصور الهزلية أيضا لهذه المحاكمات منع الجمهور والصحف الأجنبية من حضور جلساتها ، الأمر الذي جعل هيئة العفو الدولية تدين القضاء المصري ، وذلك من جملة ما أكد كيد الثورة للإخوان المسلمين .

ومن المواقف الجريئة التي وقفها سيد أثناء هذه المحاكمات الصورية أنه سخر في جرأة المؤمن من محكمة الطاغوت التي كان يرأسها أحد أعوان الحكم وهو الفريق محمد فؤاد الدجوي حين طلب منه أن يذكر الحقيقة كما تريدها هيئة الحكم فقال وقد كشف عن صدره ، وظهره الممزق بالسياط والمهروش بأنياب الكلاب :

---

(١) انظر : جريدة الشهاب البيروتية السابقة الذكر .

(٢) انظر : كتاب : لماذا أعدم سيد قطب ، ص ٣٠ (بدون مؤلف) .

تريدون الحقيقة ... هذه هي الحقيقة إن كنتم تبحثون عنها يا طغاة .

لقد تأثر من بالقاعة ، فدب في وسطهم ضجيج غير متوقع بالرغم من أن الحاضرين جلهم من زبانية الثورة ، وجواسيس المخابرات [١] .

وصدر الحكم بالإعدام على الإمام سيد قطب ، وصاحبيه عبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش نهار ٧ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ موافق ٢٢ غشت ١٩٦٦م . من قبل محكمة أمن الدولة العليا في القاهرة ، وقد تلقى شهيدنا العزيز نبأ الحكم بفرحة غامرة ، وابتسامة راضية بلقاء الله تعالى الذي طالما اشتاق إلى لقائه ، وتمنى عليه أن ينال الشهادة ، أو ليس هو القائل في قصيدته «أخي» :

أخـــي إن نمـــت نلـــق أحبابنـــا فجنات ربي أعدت لنا فطوبى لنا

وأطيارهـــا رفرفـــت حولنـــا في ديـــــار الخلـــــود

وما أن انتشر خبر الحكم حتى قامت مظاهرة احتجاج صامتة في شوارع «كراتشي» بتنظيم من منظمة «جامات إسلامي» ، كما وجه زعماء الحركات الإسلامية والسياسية في العالم نداءات إلى جمال عبد الناصر يناشدونه إعادة النظر في حكم الإعدام ، من بينهم مفتي تونس الشيخ الفاضل بن عاشور ، ومن المغرب الأستاذ علال الفاسي الذي لم يكتف بذلك فقط بل دعا بعد استشهاده إلى إقامة صلاة الغائب عليه ، وأقيمت عليه فعلا في جميع أنحاء المغرب ، ومن العراق رئيس رابطة العلماء بها الشيخ أحمد الزهاوي ، ومن عمان جمعية العروة الوثقى ورابطة العلوم الإسلامية ، ومن ليبيا علماء وأطباء ، ومن الجزائر جمعية الحركات الإصلاحية وغيرها ، ومن السنيغال الزعيم الإسلامي إبراهيم نياس ، ومن مكة المكرمة صديقه الأستاذ عبد الغفور عطار ، ومن سوريا علماء عديدون .

---

(١) انظر : العظم يوسف المرجع السابق ، (ص ٤٦ ، وص ٦٠) .

وفي فجر ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ موافق ٢٩ غشت ١٩٦٦م استشهد سيد قطب وصاحباه عليهم الرضوان ، وفاز أخيرا بالشهادة التي تحرق إليها شوقا منذ أن نذر نفسه للدعوة إلى الله تعالى ، ورفض كل المساومات ، واستخف بكل المحاولات التي سلكتها معه حكومة الثورة ، وما خاف العاقبة وما ورى وهو يواجه الحكم بالحقائق؛ لأنه يرى أن التورية في العقيدة لا تجوز ، وخاصة بالنسبة للقائد مثله الذي يتصدى لريادة الناس ولهذا عندما سئل : لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك أجاب : لأن التورية لا تجوز في العقيدة ، وإنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص [١] .

وأجاب كذلك بكلمته الخالدة عندما طلب منه أن يسترحم الحكم «لماذا أسترحم الباطل ؟ إن سجنت بحق فأنا أرضى حكم الحق ، وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم بالباطل؟ » [٢] .

وبهذه المناسبة لا يفوتني أن أشير إلى ما روي عن العلامة الداعية أبي الأعلى المودودي ~ في شأن استشهاد سيد قطب ، قال الحامدي وهو أحد الدعاة المعروفين بباكستان :

«في عام ١٩٦٦م بمكة المكرمة ، وفي فندق شبرا دخل شاب عربي مسلم على الأستاذ المودودي وقدم له كتاب «معالم في الطريق» للأستاذ سيد قطب ، وقرأه الأستاذ المودودي في ليلة واحدة ، وفي الصباح قال : كأنني أنا ألفت هذا الكتاب وأبدى دهشته من التقارب الفكري بينه وبين المؤلف ثم استدرك يقول : فمصدر أفكاره ، وأفكاري كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ » [٣] .

---

(١) انظر : الخالدي «صلاح» ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٢) انظر : صحيفة النور ، السنة ٢ ، العدد ١٣ ، عام ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥ ، وفيه أعده صاحب هذا البحث عن الشهيد بمناسبة ذكرى استشهاده .

(٣) انظر : مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧٥ ، ص ١٧ ، عام ١٣٩١ ـ ١٩٩١ .

وروى الحامدي أيضا قال : «غداة إعدام الشهيد سيد قطب دخلنا على المودودي في غرفته وكانت الصحافة الباكستانية قد أبرزت الخبر على صفحاتها الأولى ، وقص أمير الجماعة علينا هذه القصة فقال : فجأة أحسست باختناق حقيقي ولم أدرك لذلك سببا فلما عرفت وقت إعدام الشهيد سيد قطب في الصحف أدركت أن لحظة اختناقي هي التي شنق فيها سيد قطب » [١] .

بعد الشهادة :

ارتاع العالم الإسلامي كله باستشهاد رائد الفكر الإسلامي الحديث سيد قطب الذي قدم للإسلام عصارة فكره وخدمه سنوات وسنوات ، فكان مصباحا أخضر يهدي الحيارى ، ويرشد التائهين ، ويزرع في كل ربع نور اليقين وحقيقة الدين ، لا يبالي غضب الطغاة من الحكام ، ولا يأبه بتهديداتهم ولا مؤامراتهم ولا ما سلكوه معه من أساليب التعذيب والتنكيل ، كما أنه لم ينخدع بكل المساومات التي حاولوا بها إغراءه ففضل ما عند الله تعالى من رضوان على ما عند العبد من فتات الفانية وحطام الدنيا ، فآثر الشهادة وقال بعد أن سمع نطق الحكم بالإعدام : «الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاما من أجل الحصول على هذه الشهادة» [٢] .

استشهد سيد قطب عليه الرضوان وهو يبتسم لحبل المشنقة الناصرية ولسان حاله يقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

واستشهد فروى بدمائه الزكية حقل الدعوة الإسلامية ، وشق الطريق للطلائع الإيمانية ، وقدم البرهان الدامغ للعلماء الجبناء والدعاة المزيفين المنبثين هنا وهناك في

---

(١) انظر : المرجع السابق .

(٢) انظر : الخالدي «صلاح» سيد قطب الشهيد الحي ، ص ١٥٦ .

أمة الإسلام في التضحية والإخلاص والإباء ، وعلمهم كيف يتحلون بالبطولة والجرأة وقول الحق ومجابهة الحاكم الظالم بالكلمة الشجاعة الأبية ، لذلك عم الوطن الإسلامي الحزن على فقده ، وتصدرت الصحف عناوين ضخمة تعلن استشهاده في سبيل الله ، وأقيمت من أجله أحفال تأبينية تشيد به وبفكره ، وتنبه على قيمته ووزنه ، وكان من بينهما حفل تأبيني كبير أقيم في ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٣٨٦ موافق ١٠ أكتوبر ١٩٦٦م في الكلية العلمية بعمان ـ الأردن [١] والذي كان يتضمن برنامجه كلمة العلامة أبي الأعلا المودودي ، وكلمة العلامة علال الفاسي ، وكلمة الأستاذ زيد الوزير من اليمن ، والأستاذ محمود الشريف ، والأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة ، والأستاذ أسعد بيوض التميمي ، والأستاذ يوسق العظم من الأردن .

كما صدرت بعد استشهاده مجلات وصحف تتضمن الحديث عن فكره وجهاده الإسلامي ، ومن هذه المجلات «الإيمان» [٢] المغربية ، وصحيفة «العلم» [٣] المغربية وغيرها في الأقطار الإسلامية .

وراحت الصحافة في الوطن الإسلامي بعد سنوات تصدر ملفات خاصة بذكرى استشهاده ، ودراسة حياته وفكره ، وتدعو إلى السير على نهجه والاغتراف من عطائه الإسلامي ، إما عن طريق المقالة أو الشعر أو القصة أو المسرحية أو

---

(١) انظر : كتاب لماذا أعدم سيد قطب الصفحة الأخيرة .

(٢) السنة ٣ العدد ٧ ـ ١٣٨٦ ،١٩٦٦ وفيها قصيدة للأستاذ علال الفاسي في رثاء سيد يقول في أولها :
في ظل القرآن دوما مشيتا فعليك السلام حيا وميتا ، ص ٤٠ .

(٣) السنة ٢٠ العدد ٥٩٥٨ ،عام ١٣٨٦ ، ١٩٦٦ ، وفي ص ٨ منه مقالة للأستاذ علال الفاسي ـ تحت عنوان : «سيد قطب الداعية الإسلامي الكبير» .

البحث ، من ذلك صحيفة المجتمع [١] الكويتية و«الشهاب» اللبنانية [٢] و«النور» المغربية [٣] وغيرها ومجلة «١٥ ـ ٢١» التونسية التي صدرت أخيرا [٤] وغيرها ، وحتى المجلات التي لا تمت بصلة إلى الفكر الإسلامي تحدثت عن الشهيد وفكره ، ودعت إلى رفع الحظر عن إنتاجه من بينها مجلة «الهلال» [٥] .

وإنه من حكمة الله تعالى في الانتقام من أعداء عباده المؤمنين أن كشف أسرار الذين تآمروا على سيد وعلى الحركة الإسلامية ، فأصبحوا بين عشية وضحاها جناة بعد أن كانوا قضاة يحكمون مصر بالحديد والنار .

ففي عام ١٣٨٦ ١٣٨٦هـ ـ موافق ١٩٦٦م أعدم سيد وفي عام ١٣٨٧هـ موافق ١٩٦٧م وبعد وقوع النكسة المشؤومة أمست مصر تشكو العوز والفقر وتمد يدها إلى من ينقذها من الهلاك ، وتوجه التهم إلى من كان في موقف السيد الحاكم يأمر بتعذيب الأبرياء من أبناء الحركة الإسلامية ، ويكشف الله تعالى بحكمته غدر أولئك وزيف أحكامهم التي طاردت كل من يقول ربي الله وعلى رأسهم سيد قطب ~ .

---

(١) العدد ٧٥ ، ص ١٦ وما بعدها ، عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ، والعدد ١١٢ ، ص ١٩ وما بعدها عام ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، والعدد ١١٥ ص ١١ عام ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

(٢) السنة ٥ ، العدد ١١ ، ص ٣ وما بعدها ، عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ، والسنة ٨ ، العدد ٥ ، ص ٦ و٨ و ٩ ، عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ .

(٣) السنة ٣ ، العدد ١٣ يتضمن ملفا أعده عن الشهيد صاحب هذه الدراسة ، ص ٥ وما بعدها ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، والسنة ٣ ، العدد ٢٣ يتضمن ملفا أعده صاحب هذه الدراسة أيضا عن الشهيد ص٨ ، ٩ عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، والسنة ٤ العدد ٣٦ يتضمن ملفا أعده كذلك صاحب هذه الدراسة ص ٥ وما بعدها عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

(٤) العدد ٦ ، ص ٤٨ ـ ٥٧ ، صفر ١٤٠٤هـ ، نوفمبر ١٩٨٣م .

(٥) ص ١٩٣ ، عدد محرم ١٣٩٧هـ ، يناير ١٩٧٧م ـ و ص١٧٣ وما بعدها ، عدد صفر ١٣٩٧هـ ـ فبراير ١٩٧٧ .

ويعتقل فيمن يعتقل«صلاح نصر» [١] أحد الذين كانوا يشكلون مراكز القوى في البلاد ـ كما كانت تسميهم الصحافة المصرية ـ ويفر شمس بدران [٢] إلى «لندن» ، وتتولى الصحافة فضح هؤلاء واحدا واحدا بعد أن وقع الانفراج السياسي بتولي السادات الذي رأى من مصلحة مصر فك قيد الدكتاتورية عنها ، وإعطاء الشعب حق الحرية في التعبير ، فأعلن لذلك سيادة القانون ودولة «العلم والإيمان» ؛ إذ لو لم يفعل ذلك لشهدت مصر أهوالا وأهوالا ، لأن حالتها السياسية لم تكن تبشر بالخير فالسجون مليئة بخيرة أبنائها من شتى الطبقات ، والشعب ساخط كله على الأوضاع الرهيبة .

وكان من نتائجها استشهاد سيد قطب أن ازداد إقبال الناس على إنتاجه ازديادا منقطع النظير ؛ إذ ما أن ينزل كتاب له الأسواق حتى تتسابق عليه جموعٌ مختلفة من القراء شبابا وكهولا وشيوخا ، وليس أدل على ذلك من أن دور النشر قد اغتنمت الفرصة فراحت تطبع إنتاجه طبعات غير شرعية وخصوصا «الظلال» وكتابه الذي قدم رأسه ثمنا له هو «معالم في الطريق» ، ذلك الكتاب الذي غمر صيته الآفاق الإسلامية ، فانتقل إلى تركيا وأعلنت عنه الصحف تحت عنوان «الكتاب الذي أعدم من أجله سيد» وقد ترجم بعد ذلك إلى الإنجليزية والفرنسية والسواحلية ، ولم تمض أيام حتى طبعت منه عشرات الآلاف ، وسيأتي الحديث عنه في محله إن شاء الله تعالى .

---

(١) مدير المخابرات من مواليد ١٣٤٠هـ موافق ١٩٢٠م . وهو من أبناء قرية سنتماي ، تخرج من الكلية الحربية سافر في بعثة عسكرية مصرية إلى إنجلترا ، ثم التحق بكلية التجارة وتخرج من قسم العلوم السياسية ، فشارك في أحداث ليلة الثورة ، وبعد ذلك عين رئيسا للمخابرات ، وفي هذا المنصب ارتكب ما ارتكب من الجرائم وكان من الذين انفضح أمرهم لدى الشعب ، انظر مجلة «المصور» ، العدد ٢٦٥٩ ، عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

(٢) وزير الداخلية في حكومة عبد الناصر .

وكان من نتائج استشهاده أن تمثلت الطلائع الإسلامية عطاءه الإسلامي ، وتتلمذت على فكره في منهج الدعوة ، واتخذته قدوة في هذا المجال ، فكان هذا حافزا لها على المضي في طريق الإيمان ، وكان هذا أيضا من أسباب نشر الوعي الإسلامي وتفجير الطاقات الإسلامية وتوظيفها في مواجهة الجاهلية المتسلطة .

إن فكر سيد لمن الركائز التي قامت عليها نهضة الحركة الإسلامية الحالية؛ إذ ما من حركة إسلامية في الوطن الإسلامي إلا وهي مدينة لفكره الإسلامي الشامخ ، وإن شئت الدليل فاعمد إلى النتاج الإسلامي الحديث ، فإنك سوف تلحظ بصمات سيد تهيمن على مناخه وسوف لا تحتاج إلى تدبر كبير لاكتشاف هذه الهيمنة؛ لأنها تعلن عن نفسها بنفسها ، لذلك صح أن نعتبر ــ وقد اعتبر ــ سيدا رائد الفكر الإسلامي الحديث بما قدمه من مفاهيم جديدة ، وبحث جيد في كثير من القضايا ، وقدم الإسلام في صورته المشرقة لا شطط فيها ولا تعسف على عادة بعض من كتبوا في هذا الميدان فتنكبوا الطريق لغياب منطق التصور الإسلامي في نفوسهم ، وميلهم إلى التجديد من أجل التجديد لا من أجل خدمة الإسلام ، ورد الشبهات والتمشي مع مقاصد الشريعة وفلسفتها ومراميها دون الاعتداء على الأصول والاجتهاد فيما هو صريح لا يقبل جدلا ولا تأويلا إرضاء لهوى خاص ، أو تملقا لحاكم ، أو تزلفا لجهة معينة .

إن سيداً قد استهان بما عند البشر من جاه ، وآثر ما عند الله من ثواب ، وأقسم أن يفديه بأغلى ما يملك ، ويجاهد لأجله بكل قواه ولو كان في ذلك حتفه ، وقد كان؛ إذ ظفر بالشهادة التي كانت أمله الذي داعبه في صبحه ومسائه .

*****